مجلة الصليب

السنة الثانية | العدد السابع | أيلول ٢٠٠٩

عدد خاص

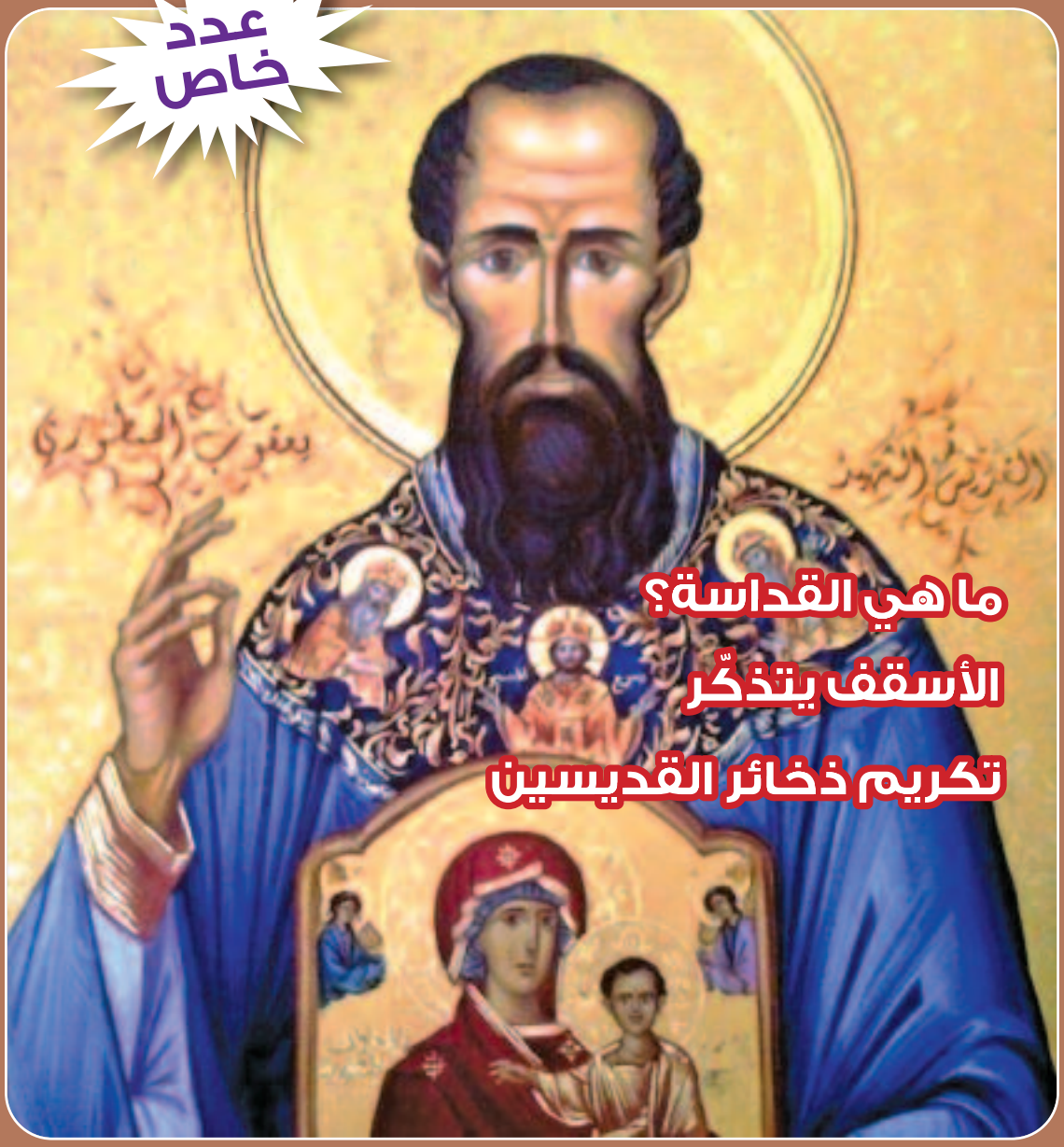

ما هي القداسة؟

الأسقف يتذكّر

تكريم ذخائر القديسين

محتويات العدد

ما هي القداسة! من هو القدّيس؟ ٣

زائرة وقدّيس ٧

تكريم ذخائر القدّيسين ٩

القدّيس يعقوب الحمطوري ورفاقه ١٣

القديس الشهيد فيليمنوس ١٥

في القديسين وفي وجوب تكريمهم وتكريم رفاتهم ١٦

الأسقف يتذكّر ١٨

من هم الآباء ٢٠

أطفالنا ومشاركتهم في الليتورجيا ٢٢

من تراثنا الأرثوذكسي ٢٥

في إكرام «قديسي اللّه» ٢٨

يا طالع ع حمطورة ٣٠

مجلة الصليب

تصدرها رعية كنيسة رفع الصليب الكريم المحيي - النبعة
للروم الأرثوذكس

ما هي القداسةَ! من هو القديس ؟!

لوريس مخول

''كونوا قديسين لاني انا قدوس'' (١بطرس ١: ١٦) . اذا '' القداسة صفة من صفات الله ولكن البشر مدعوون ان يتشبهوا به وان يعتزلوا الخبيث وان تتحرر دواخلهم من كل انفعال يجعلهم تحت وطأة الشهوة لانه ليس من انسان يحيا ولا يخطئ'' (المطران جورج خضر).

كيف يتقدس الانسان ؟: الانسان ليس قديس من نفسه ولكنه يتقدس بالمشاركة في قداسة الله وهذا يتم ليس بقوى الانسان الذاتية بل بفعل نعمة التقديس الالهية . والتقديس هو فعل ينتج عن المشاركة بين الله والانسان فالله هو المقدَس والمؤمنين هم المقدسين .اذا التقديس هو عمل الثالوث القدوس يتم بشركة الروح القدس (٢تسا٢:١٣) عبر المقدَس الذي هو المسيح .

التقديس: التقديس حقيقة وواقع، جميع المسيحيين دون استثناء هم قديسون لانهم تقدسوا : أ- بالمعمودية ، بالماء والروح . ب- الميرون، بالمسح اي بهبة الروح القدس فالمسح بالميرون تتغلغل نعمة الروح القدس الى اعماق الانسان (افس ١: ١٣) .ج- بسر الشكر الالهي، الذي يتم بفعل الروح القدس كما يظهر من خلال كلمات الخدمة الالهية : '' محولا اياه بروحك القدوس'' .

بوسائل النعمة الالهية المتنوعة: ان فعل التقديس لا يتم فقط بواسطة الاسرار الالهية التي هي بداية التقديس (رو٨: ٢٣) تلزم ايضا محاولة الانسان الشخصية لذلك يتوجه الله الى من وهبوا هذه النعمة بقوله : '' كونوا قديسين لاني انا قدوس '' '' كونوا كاملين ..'' ان القديس بولس الالهي يذكر '' فاذا كنا نحيا بالروح فعلينا ان نقتني اثر الروح '' (غلاطية ٥: ٢٥) . اذا الانسان يقتني اثار الروح عندما يحيا حياة الفضيلة واما حياة الخطيئة فانها تطفئ الروح (١ تسا ٥: ١٦) (الخطيئة لا تطفئ الروح وحسب بل تفقد الانسان نعمة التقديس الموهوبة له من الله.فبقدر ما يحيا الانسان بحسب الروحي يميت اعمال الجسد ويغتني بشركة الروح القدس الى ان يتقدس

كليا (١تساه: ٢٣) : "واله السلام نفسه يقدسكم بالتمام" . " لا يمكننا ان نقوم باي عمل في سبيل قداستنا بمعزل عن النعمة " (القديس مرقس الناسك).

دور الانسان في التقديس هو: ١- المحافظة على نعمة القداسة المعطاة له اولا. ٢- العمل بمشيئة الله للحصول على قداسة اعمق واكمل اي المشاركة الكاملة بنعمة الثالوث القدوس "... لكي تمتلئوا الى كل ملء الله" (ا ف ٣: ١٩).٣- التأله: هدف الله من خلق الانسان بحسب تقليد الكنيسة الارثوذكسية هو التأله ولكن الانسان بسبب سقوطه في الخطيئة لم يتمكن من الوصول الى التأله لذلك وجب ان يتجسد ابن الله الكلمة،فالقديس اثناسيوس يقول بان المسيح " تجسد لكي يؤلهنا" والتأله ليس تغيرا للطبيعة البشرية ولكنه سموها وارتقاءها .

كيفية الوصول الى التأله: قاعدة التبني هي الحصول على الخلاص بالمسيح عن طريق الاسرار ولكن التأله لا يتم فقط بالمشاركة في هذه الاسرار بل يكتسب بالجهاد ضد الشيطان ومعاثره وبممارسة الفضائل والاعمال الصالحة والتغلب على الاهواء وبالعمل بحسب مشيئة الله بالصلاة وبالتوبة ...فتنقية الانسان لذاته وممارسته للفضائل ليست هي الهدف بحد ذاته ولا تكفي لان يصل الانسان الى التأله انها الواسطة فقط الى ذلك وهي تجعل الانسان مؤهلا لتقبل عطية الله فبحسب القديس سيرافيم ساروف "ان الصلاة والصوم والسهر وكل الاعمال المسيحية مهما تكن جيدة بحد ذاتها وبالرغم من انها وسائل ضرورية للحصول على شركة الروح

القدس ولكنها ليست هي وحدها هدف الحياة المسيحية فهدف الحياة المسيحية هو نيل نعمة الروح القدس ''. التأله اذا هو شركة الروح القدس وهذه الشركة تتم بنعمة الله فقط وليس في جوهره لانه طالما بقي الشر في الانسان وطالما لم يتنق كليا لا يستطيع ان يتقبل موهبة الروح القدس.

نتائج التأله : بشركة الروح القدس يتأله الانسان بكليته اي بالروح، بالقوى (الافعال) وكذلك بالجسد. البشر الذين يصلون الى التأله يعيشون بحسب الروح والدعوة '' **كونوا قديسين**'' ليست سوى دعوة الى الارتقاء بالفكر والارادة الى فكر الله وارادته وتتحقق هذه الدعوة بتأله الانسان حيث يعود ليأخذ الصورة الاولى والمثال الذي منحه اياه عند الخلق . عند القديس مكسيموس نجد بان الانسان لا يصبح فقط صورة المسيح الحية بل هو المسيح نفسه بالنعمة او بالتمثل.كذلك ان تأله لقوى هو نتيجة طبيعية لتأله (النفس) فبتأله يمتلئ الذهن والقلب والارادة والجسد بنعمة وقوة الله فالمتألهون لا يسمون ويرتقون بالطبيعة فقط ولكنهم يكتسبون القوة الالهية ذاتها ويتصرفون باسم الله وعوضا عنه كما الملائكة والقديسين (غريغوريوس بالاماس).

من اهم نتائج التأله، هو تقدس الجسد وتألهه. فالجسد ليس له هدف ارضي فقط ''**الجسد ليس للزنى بل هو للرب والرب للجسد**'' (١ كو٦:١٣). الجسد يجب ان يكون هيكلا لله وهيكل الله مقدس ونعمة الروح القدس عندما تسكن في النفس تسكن ايضا في هيكلها وعندما تنفصل النفس عن الجسد ويتوقف الجهاد حينئذ تسكن نعمة الروح القدس وتقدس بالكلية هيكل هذه النفس ولذلك نجد عظام وبقايا القديسين تفيض اشفية تداوي كل ضعف.

ظواهر القداسة : بالتأله يكتسب القديسون المحبة الكاملة التواضع الاستنارة... وهكذا نجد قديسين يسيرون على وجه الماء ويتصرفون ازاء الحيوانات المتوحشة كأنها حيوانات أليفة وهي تخضع لهم .اما القوى الالهية التي نلاحظها عند القديسين فهي : نعمة معرفة خفايا القلوب ، النبؤة، القدرة على اجتراح العجائب مثل شفاء المرضى اخراج الشياطين ...وهذا ما وعد به السيد : ''**الحق اقول لكم ان من يؤمن بي فالاعمال التي انا اعملها يعملها هو ايضا ويعمل اعظم منها**'' (يوحنا ١٤: ١٢)

اما نتائج تأله الجسد هي: لمعان الوجه،انتقال نعمة التقديس باللمس (اعمال الرسل ١٩و ١٢)، افاضة الطيب، عدم فساد البقايا القديسين، العجائب التي تجرى بواسطة البقايا المقدسة .

من هو القديس: القديس هو ذلك الانسان الذي يسعى دائما الى التصرف بكل رقة وشفافية بنقاوة في الفكر والاحاسيس، رقته هذه تمتد الى الحيوانات والاشياء لانه يرى في كل خليقة عطية لمحبة الله يحترم كل انسان وبحسب البار اسحق السوري القديس هو قلب

يحترق لكل خليقة للناس للعصافير للحيات للشياطين. ذكرهم يدفعه الى ذرف الدموع. يقتدي القديس بتنازل المسيح وافراغه لذاته وهو موضع ثقة لكل من يود ان يعترف باسراره الاكثر خاصة وفي كل وضع وكل حالة يعترف متى يجب ان يتكلم وماذا يجب ان يقول ،كما يعترف متى يجب ان يصمت وماذا يجب ان يعمل فهو يشع دائما روح كرم وعطاء روح عناية وانتباه،روح مشاركة وتضحية مع انكار ذات، يستدفئ به الاخرون يستعيدون بمساعدته قواهم ويشعرون بفرح بانهم ليسوا متروكين وحدهم، هو حمل بريء دائما للذبح يحمل آلام الاخرين وهو في الوقت ذاته حائط لا يتزعزع بامكان الجميع الاستناد اليه ومن جهة ثانية لا يسبقه احد في التواضع في التمرد من كل مصطنع، في الابتعاد عن كل تبجيح في تصرفه الطبيعي. يتكلم بطراوة،يتحاشى ذكر ضعفات الاخرين باسمائها ويدفع الاخرين الى الاعتراف بخطاياهم ويمدهم بالقوة للتغلب عليها.لقد توصل القديسون الى البساطة الكاملة لانهم سلموا انفسهم كاملا لله وهم في موقف تشجيع كامل دائم يبتسمون ولا يقهقهون لا يسخرون واحيانا امام اعمال لا اخلاقية يبدون حديتهم دون ان يوحوا بالارهاب يرون المسيح في كل انسان. لا يمارسون اية سلطة ارضية لا يأمرون بقساوة انهم يجسدون شخص يسوع المسيح الوديع والقوي في آن واحد.القديس صورة متجددة للاله الحب الشخصي الذي صار انسانا ،هو شخص ملتزم بحوار مفتوح للغاية ومستمر مع الله والناس وهو انعكاس كامل لانسانية المسيح.'' اخيرا ليس القداسة وطن انها اياها في الاعماق أي في المشرق كنت ام في كبادوكيا او في صربيا وبيزنطية وما اليها ذلك ان مشتلها العبادة واسلوبها النسك وينابيعها الكتاب الالهي وما أنشأه من ميراث ويدعم كل ذلك لاهوت واحد يشرح القداسة ويعقلنها ولو فاقت كل تصور انها في الاخير حياة المسيح فينا '' (المطران جورج خضر).

زائرة وقديس

جورج حايك

ونحن في الطريق روى نسيبي قصة يعقوب الحمطوري، الذي كان رئيسا للدير، استشهد في زمن المماليك، واحرق جثمانه في احدى ساحات طرابلس. يعقوب الحماطوري بقي حاضرا في ذلك المكان. الا انه اكتسب مقامه الطبيعي مع الأب بندلايمون، رئاسة دير حمطورة. وقد وافاه الشهيد يعقوب مرارا مبلا اياه قصته، وطالبا منه رسم صورته. وبعد التقصي والتحري تبين الأب بندلايمون أن الرجل فعلا وجد. وأنه كان رئيسا سابقا للمقام زمن المماليك، وأنه اختفى بعدما تم جلبه الى طرابلس. وقد بان اسمه في عدد من الوثائق الديرية. فأمر الرئيس احد رهبانه بالصلاة والصوم ثم كتابة ايقونة للشهيد. لكن الايقونة التي كتبت ما كانت تعبر عن الصورة الواقعية ليعقوب الحمطوري، الواقعية مما استلزم زيارة القديس نفسه في الحلم للراهب الرسام، طالبا منه تأمل ملامحه والمباشرة بالكتابة الفورية لصورته، الى ان وفق في رسمه. وقد اعلنت الكنيسة الانطاكية الارثوذكسية قداسة يعقوب الحمطوري مع كل مستلزمات هذه العطية من كتابة قطع في الـ''ليتورجيا'' لزوم تكريمه في صلوات خاصة. وبعد تعريفنا بيعقوب الحمطوري بإسهاب، استكمل نسيبي مداخلته مضمنا اياها قصة القديس والزائر مشيرا: الى انه في وقت ليس بالبعيد، وافت امرأة مريضة وسمينة وقد تقدمت في السن بغية زيارة الدير. فسارت على الدرب الصعبة الضاربة في الجبل الى ان ادركتها نوبة قلبية،

رئيس الدير يصلي أمام الذخائر مع رهبانه

جبل سيدة الحمطورة

فشعرت بلهب وعطش. وأدركت عندها ان ساعتها قد اتت، وأنها لن تتمكن من بلوغ المكان. فراحت تصلي وتضرع الى ان لمحت راهبا آتيا من بعيد يحمل في يده ابريقا ودواء. فناولها الماء الدواء، وانتظرها حتى تعافت. ثم انكبّ يساعدها في تسلق الدرب الى ان قاربت الوصول، فغاب الراهب. ولما وصلت المكان. سارعت الى رئيس الدير وأبلغته قصتها، طالبة مقابلة الراهب الذي انقذ حياتها. جمع رهبانه بكاملهم.

الا ان المرأة السمينة لم تجد منقذها في محفل رهبان الدير الذين حضروا. فأحتار الأب رئيس الدير ، وما اجاب، بل اصطحبها الى كنيسة الدير لتسديد نذرها. وراحت عيون الزائرة تراقب الايقونات المعلقة على حيطان الكنيسة الى ان ادركت احداها، فصرخت عندها ها هوذا منقذي!!! أدرك رئيس الدير بأن يعقوب الحمطوري هو من زودها بالماء والدواء وساعدها على اجتياز الطريق. لم تكن هذه القصة يتيمة اذ ان قصصا اخرى قد حصلت من هذا القبيل فتراءى القديس لأناس كثر.

تكريم ذخائر القديسين

الأب روفائيل مخَول

تعني كلمة بقايا (ذخائر) اي شيء من بقايا الاموات،ولكنها مع الوقت اخذت معنى دينيا اذ خصّصت الكنيسة هذه اللفظة لبقايا القديسين وما يختص بهم : كالأجساد والأدوات التي استعملها القديس خلال حياته الارضية وكل ما تبقى من الادوات التي تألم بها وأدّت الى استشهاده.

والبقايا هي جلد القديس،هيكله،ثيابه وكل شيء ماديااستعمله حتى موته،وفي كثير من الاحيان الاواني المقدسة والأدوات التي كانت لها علاقة مع جسده.

اتى الاله ليقدس المادة ويطهّرها ويرفعها عندما قبل ان يصير جسدا.لان جسدنا نحن البشر هو من مادة العالم ولكن هذه المادة بعكس ما يقوله بعض الفلاسفة اليونان القدماء،الذين يعتبرون الجسد كسجن للنفس والمادة بحد ذاتها فاسدة،او هي شر كما يقول الغنوصيون. فهي بحد ذاتها جيدة لانها خليقة الله... لذا الكنيسة تقدر الجسد الانساني تقديرا كبيرا،ويشهد على ذلك تجسد المسيح.ويوضح بولس الالهي "**ففيه يحل كمال الالوهة حلولا جسدي**" (**كولوسي ٢:٩ وفيلبي ٢:٥- ١١وعبرانيين٢ : ١٣ - ١٨**). وقد اختبر التلاميذ ذلك على جبل التجلي وبعد القيامة.فجسد الرب لم ينحل داخل القبر، أُنهض، ولمسه الرسل، حتى الجروح (**لوقا٣٩:٢٤**) في خليقة المسيح الجديدة يصير

الآباء يحملون رفات أحد رفقاء القديس يعقوب الحمطوري

الآباء يحملون رفات القديس يعقوب الحمطوري

الجسد الانساني ''عضو المسيح'' و''هيكل الروح القدس'' (١كورنثوس ٦: ١٥- ١٩) ويدعى الانسان الى تمجيد الله بجسده (١كورنثوس ٦:٢٠) والى تقديمه ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله (رومية ١٢:١) لكي تظهر في اجسادنا حياة المسيح ايضا (٢كورنثوس ٤: ١٠) فانسان الخليقة الجديدة هو ذرّية الله (اعمال١٧:٢٩) ومساهم في مجد الله الذي يعكسه بجسده (٢كورنثوس ٣: ١٨). يقول الأب رومانيدس في مقالته حول تمجيد الانسان: ''لم يعد التمجيد محدوداً فقط في القلب،ظاهرا في الوجه كالانبياء، بل ممتداً الى كل جسد من اجساد هؤلاء المجدين ومستمرا في القديسين بشكل دائم فيلهمون بواسطة تمجدهم الثابت ويصبحون ذخائر مقدسة.'' ونقول ايضا في خدمة الجناز ان جسد المسيحي هو ''صورة مجدالله الذي لا يوصف'' على الرغم من انه '' يحمل آثار الزلات''.''ان عقيدة تكريم رفات القديسين مؤسسة على الايمان بوجود ارتباط روحي ما بين الروح القدس ورفات هؤلاء القديسين التي لم يستطع الموت الجسدي ان يحلها الى التراب الذي اخذت منه.الرفات هذه بقيت تعيش مع النفس الحية الى حد ما. هناك نعمة روحية في اجسادهم وحتى في اصغر بقايا اجسادهم هذه النعمة الروحية حافظت وتحافظ على هذه الاجساد ان تبقى بعدم انحلال وتلف. بقايا اجساد القديسين هذه انما هي اجساد ممجدة

قبل الأوان اي قبل القيامة العامة للاجساد الراقدة التي تنتظر هذا اليوم.انها تشبه جسد الرب عندما كان في القبر،والذي وان كان مائتا بدون نفس حية ولكنه لم يكن مطروحا من الروح الالهي،بل كان ينتظر القيامة.''

ان من لا يكرم ذخائر القديسين هو بعيد عن روح الانجيل،لان الانجيل يأمرنا ان نقدم اجسادنا ذبيحة حية مقدسة (رومية ١٢:١). وهذه الذبيحة لا تقدم الا بالروح القدس جاعلا الجسد للرب والرب للجسد (١كورنثوس٦:١٣) فان كانت حياة الرب يسوع تظهر في اجسادنا (٢كورنثوس ٤:١٠) فكم بالحري نعمة روحه القدوس.

اكرام ذخائر القديسين ليس عادة جديدة لدى المسيحيين وانما يعود الى الازمنة المسيحية الاولى، وهو تقليد مستمر في كنيستنا. ودليلنا من التقليد هو الشهيد بوليكربوس (١٥٦-١٥٧) فبقاياه توصف بانها '' اغلى من الاحجار الكريمة واثمن من الذهب''.فكان المؤمنون يحرصون على جمعها بكل انتباه ويكرمونها اجلَ اكرام يليق بالقديسين.فالقديس يوحنا الدمشقي دافع عن عقيدة اكرام بقايا القديسين مستندا الى تعليم : ان الله اعطى بقايا القديسين للكنيسة معنى خلاصي وهذا السبب ضروري جدا لنقدم لها الاكرام كممثلة للقديسين،اصدقاء المسيح،ابناء ووراثي الله.

مثوى رفات القديس يعقوب الحمطوري

ان المجمع المسكوني السابع الذي اقيم في سنة ٧٨٧م يسمي ذخائر القديسين ''ينابيع الشفاء''ويسوم الذين لا يكرمونها القصاص.وحدد ان توضع الذخائر المقدسة في الكنائس وتبخَر،متوعدا بالحط من الرتبة الاسقفية في حال عدم القيام بذلك.اذ قال في قانونه السابع: ''اننا نحدد ان يتمم بالصلاة المعينة وضع ذخائر الشهداء في تلك الكنائس التي تكرست بدون ان توضع فيها يوم تكريسها والاسقف الذي يحتفل من الان بتكريس كنيسة بدون ذخائر مقدسة فليحط كمتجاوز التسميات الكنائسية''. عقيدة تكريم الذخائر المقدسة تطورت واخذت شكلا مع باسيليوس الكبير ويوحنا الذهبي الفم .اذ كتب القديس باسيليوس الكبير رسالة الى الاسقف اركاديس بمناسبة بنائه كنيسة جديدة جاء فيها : ''لقد سررت للغاية عند سماعي انم منهمك بمسألة تشييد بيت لمجد الله وهذا بديهي كونك صرت مسيحيا،وانك بالمحبة العملية احببت ''جمال بيت الرب''كما هو مكتوب ،انك بهذا قد اعددت لنفسك ذلك القصر السماوي الذي اعده الرب في راحته للذين يحبونه.اذ تيسَر لي ان اجد ايَا من بقايا الشهداء,رجائي ان تكون لي مساهمة في محاولتك المحبَة''.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في كلمته عن الشهيدة ذروسيذا: ''حيث لا ينفع ذهب ولا غنى هناك تفيد بقايا القديسين.لان الذهب لا يشفي من مرض ولا ينجَي من موت ولكن عظام القديسين تفعل الاثنين''.يشهدالقديس الذهبي الفم بان المسيحيين الحسني العبادة معتادون ان يصلوا امام بقايا المقدسة وان يقيموا الاجتماعات والاحتفالات حولها وان يقبَلوها قبل المناولة وان يتمنَوا ان يدفنوا الى جانبها .

يقول في تقريظه للقديس اغناطيوس : ''ليست اجساد القديسين وحدها ملأى نعمة بل ونفوسهم ذاتها ايضا...فمن يمس نعش القديسين ذاته عن ايمان لا بد وان يجتذب منه منفعة كبرى ولذلك ابقى الله لنا ذخائر القديسين رغبة منه ان يقودونا الى تلك الغيرة التي كانت فيهم ويمنحنا ميناء وتطبيبا حقيقيا ضد الشر المحيط بنا من كل الجهات.ان الشياطين لا تستطيع احتمال هذه القوة العجيبة(ذخائر القديسين) المستقرة في الاجساد المقدسة والطاهرة للقوات المنجَسة فالرفات والعظام والرَماد تجرح طبيعتهم غير المنظورة''.ويقول القديس في موضع اخر : ''ما عظمة فضيلة القديسين ليس فقط في كلامهم ولا في اجسادهم فقط بل وايضا في ثيابهم التي لها تقدير عند كل الخليقة ..فثياب بولس اخرجت الامراض . وخيال بطرس جعل الموت يهرب. ورماد الشهداء افزع الشياطين.

القديس يعقوب الحمطوري ورفاقه

الارشمندريت بندلايمون(الحمطوري)

يذكره السنكسار الانطاكي بايجاز في مخطوطة بلمندية تحت رقم ١٤٩، في اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الاول ، لكنَ القديس بعد ان نسي بسبب استبدال المخطوطات المحلية بالترجمات عن اليونانية ،التي اغفلت القديسين المحليين. فكان دوما حاضرا مع المصلين ، فمنهم من يظهر لهم ويباركهم، ومنهم من يشفي.وكان مرارا يرتل في الكنيسة فيسمعه الرهبان والزوار، ويتشددوا في جهادهم . وقد اوصى احدى المؤمنات باخبار الرهبان ان سيكشف لهم قبره، فلم يكترث الرهبان لهذا الامر ، لكنه في الثالث من تموز ٢٠٠٨ ، فيما كانت اعمال تجديد البلاط جارية ، وجدت عظام انسانية تحت تراب ارض الكنيسة وبان قبر صغير يحوي هيكلين عظميَين ، تظهر عليهما آثار التعذيب والضرب ، وبعض الدم المتجمد ، وبعض عظامه ، وهيكلين آخرين تبيَن بعد الفحوصات المخبرية الحديثة التي اجراها الدكتور ناجي صعيبي، المتخصص بالطب الشرعي، ان الهيكلين يعودان الى ٦٥٠ سنة على احدهما آثار حريق وقد قطعت هامته وفقدت الفقرة الثانية من رقبته . مما يدل حسب المواصفات التي يذكرها مخطوط السنكسار البلمندي ، انها للقديس يعقوب الحمطوري الذي كان في الخمسين من عمره، وكذلك رفيقه في الاربعين .اما الهياكل الاخرى فترجع الى ٤٥٠ سنة تقريبا .اعتبر الاقدمون هذه الرفات مقدسة ، فلم يدفنوها في مدافن عادية، بل في وسط الكنيسة وبطريقة سريعة نتجية الضغوطات والاضطهادات . كذلك وجدت تحت المائدة المقدسة بعض عظام جمجمة الطفل : مما يدل على ان الاقدمين قد اعتبروهم شهداء. حين تعرضت الكنيسة للتخريب ، أعادوا تكريسها في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ اي قبل مئة واربعة عشر سنة . ان عددا كبيرا من المؤمنين يزور الدير ويتبارك بصلاة والدة الاله القديسة والقديس يعقوب الحمطوري

.واليوم بات تكريمه اكثر شيوعا من ذي قبل ، فكيثرون ممن يباركهم القديس ورفاقه يرجعون الى الدير ، ليدلول بشهادة بسيطة مسجلين شكرهم ومحبتهم للرب القدوس، الذي اعطانا اياه ورفاقه منارات ترشد الى طاعة الله ومحبة القريب بما يغدق من اشفية ونعم . وبعد بركة سيادة راعينا الجليل المتربوليت جاورجيوس الكلي الطوبى، بات بامكاننا ان نضيف الى طلباتنا وتذكاراتنا عبارة '' الآباء شهداء حمطورة '' الذين وجدت عظامهم في كنيسة الدير . وسنعيّد لهم بالاضافة الى القديس يعقوب في ذكرى العثور على بقاياهم الشريفة في الثالث من تموز .

فلتنفعنا صلواتهم ، وليتمجد الرب في قديسيه، آمين

الشهيد القديس فيليمينوس

من الكنيسة الاورشليمية

استشهد القديس فيليمينوس في بئر يعقوب في نابلس سنه ١٩٧٩م من قِبَلْ مستوطن يهودي كان دوماً يتردد إلى الكنيسة لطرد القديس من المكان لكي يجعله كنيس أو مكان مقدس لليهود، حيث واجه القديس مشاكل كثيرة من قِبل المستوطنين لمحاولاتهم احتلال الدير والمكان الذي فيه يوجد بئر يعقوب حيث هناك تحدث السيد المسيح مع المرأة السامرية والتي آمنت به وبشرت عنه بعد ذلك. حيث أقامت القديسة هيلانة كنيسة كبيرة في القرن الرابع لأهمية هذا المزار المقدس للمسيحيين وإلى يومنا هذا ظل مزاراً مقدساً حافظت عليه أخوية القبر المقدس عبر العصور، ففي تاريخ ١٩٧٩/١١/١٦م دخل مستوطناً يهودياً بالخفية إلى الدير وقتل القديس الشهيد فيليمينوس لأنه ظل صامداً وتكراراً وصدهم عن احتلال هذا الدير حتى يئسوا منه وقتلوه، فدفن في مدينة القدس وللعجائب التي صنعها حيث شفى إحدى المطارنة من مرضٍ مزمن، وخلص كنيسة صهيون من حريق كبير وغيرهم من العجائب. تقرر إخراج رفاته من القبر ووضعها في كنيسة علّيّه صهيون، وما زال إلى يومنا هذا ويسعى حالياً رئيس دير بئر يعقوب الأرشمندريت يوستينوس نقل رفاته إلى مدينة نابلس حيث أقام كنيسة هناك على اسمه.

في القديسين وفي وجوب تكريمهم وتكريم رفاتهم

القديس يوحنا الدمشقي

يجب تكريم القديسين لأنه أحبّاء المسيح وأبناء الله وورثته، كما يقول يوحنا اللاهوتي والإنجيلي: ''كل الذين قبلوه أعطاهم أن يكونوا أبناء الله''. (يو ١: ١٢)، ''حتى إنهم ليسوا بعدُ عبيداً بل هم أبناء. وإذا كانوا أبناءً فهم وارثون بالله'' (غل ٤: ٧) ووارثون مع المسيح. وقد قال الرب لرسله في أناجيله المقدّسة: ''أنتم أحبّائي... لا أسمّيكم عبيداً بعد، لأنّ العبد لا يعلم ما يصنع سيّده'' (يو ١٥: ١٤-١٥). ولمّا كان يُقال لصانع الجميع وسيّدهم ''ملك الملوك ورب الأرباب'' (رؤيا ١٩: ١٦) وإلهُ الآلهة (مز ٤٩: ١)، فإنه يُقال حتماً للقدّيسين أيضاً آلهة وأرباباً وملوكاً، لأنّ الله هو -ويُقال له- إلهُهم وربُّهم وملكُهم. وقو القائل لموسى: ''أنا إلهُ أبيك، إلهُ إبراهيم وإلهُ إسحق وإلهُ يعقوب'' (خر ٣: ٦). وقد ''جعلَ الله موسى إلهاً لفرعون'' (خر ٧: ١). وقولي (القديس يوحنا الدمشقي) فيهم بأنه آلهة وملوك وأرباب ليس بالطبيعة، بل ذلك لأنهم ملَكوا أهواءَهم وضبطوها وحفظوا بلا انثلام مثالَ الصورة الإلهيّة التي وُلدوا فيها. فإنه يُقال أيضاً لصورة الملك ملكاً. ثم لأنهم اتحدوا بالله باختيارهم وقبلوا إسكانه فيهم، وبامتزاجهم به بالنعمة صاروا ما هو عليه بالطبيعة. فكيف إذاً لا ينبغي أن نكرّم أولئك الذين أصبحوا خدّام الله وأحبّاءه وأبناءَه؟ لأنّ الإكرام الواصل من الرفاق في العبوديّة إلى مَن حَسُنَ ولاؤُهم لسيّدهم لهو برهانٌ على صدق النية نحو السيّد العامّ! إن هؤلاء القديسين قد أصبحوا خزائن الله ومنازله، لأنّ الله يقول: ''إني سأسكن فيهم وأسير في ما بينهم وأكون لهم إلهاً'' (٢ كور ٦: ١٦). ويقول الكتاب الإلهي أيضاً: ''نفوسُ الصدّيقين بيد الله فلا يمسُّها عذابٌ'' (حكمة ٣: ١) فإنّ موت الصدّيقين نومٌ أكثر منه موت. ''لأنهم قد تعبوا إلى الدهر وسيعيشون في الانقضاء''، و ''وكريمٌ في عينَي الرب موت أصفيائه'' (مز ١١٥: ١٥). إذاً فماذا أكرمُ من أن يكون الإنسان بين يدَي الله؟ فإنّ الله حياةٌ ونور. ومن هم بين يديه هم في الحياة والنور. وإن الله يتّحد أيضاً اتحاداً عقلياً في أجسادهم، كما يقول الرسول: ''أما تعلمون أنكم هيكل الله وأنّ روح الله مستقرّ فيكم''؟ و''أنّ الربّ روح'' (٢كور ٣: ١٧)، و ''أنّ من يفسد هيكل الله يفسده الله'' (١كو ٣: ١٧). إذاً فكيف لا ينبغي أن نكرّم هياكل الله الحيّة، مساكنَ الله الحيّة أن أولئك العائشين منتصبين بحضرة الله؟

رفات القديسين: لقد وهبنا السيّد المسيح رفات القديسين ينابيع خلاصية تنبع البركات بطرق شتّى، وتفيض الحيلَ الذكيّ الرائحة. ولا ينكرنّ أحدٌ ذلك! فإنّ الله لمّا شاء أنبع ماءً في الصحراء من صخرة صمّاء يابسة، وأنبع

لشمشون في عطشه ماءً من فكّ حمار (قضاة١٥: ١٩)، أفيكون منكراً أن يفيض الحيلَ الذكي الرائحة من رفاتٍ من نُغبّطهم؟ إنه ليس منكراً البتّة لمن يعرفون قوة الله وكرامة القديسين لديه. يجب ألا نُحصي القديسين مع الأموات. -هم شفعاء البشر جميعاً: جاء في الشريعة: ''من لمس ميتاً ما من الناس يكون نجساً'' (العدد١٩: ١١). لكننا نقول إنّ هؤلاء القديسين ليسوا أمواتاً. فإننا -منذ أن أحصي الحياة بالذات وعلّة الحياة بين الأموات- لا نحسب أمواتاً من رقدوا على رجاء القيامة والإيمان بالمسيح. وإلا فكيف يجترح المعجزات جسمٌ ميتٌ وكيف يطرد الشياطين؟ والأمراض تزول؟ والضعفاء يشفَون؟ والعميان يُعاد إليهم بصرُهم؟ والبرص يطهرون؟ والتجارب والأحزان تتبدد؟ ''وكل عطية صالحة تهبط بواسطتهم من لدن أبي الأنوار'' (يعقوب ١: ١٧) على من يلتمسونها بإيمان راسخ؟ فما أكثر ما تُعاني أنت لتجد لك نصيراً يقف تجاه ملك زائل ليدافع عنك! ونحن ألا ينبغي أن نكرّم شفعاء البشر أجمعين الذين يرفعون الابتهالات إلى الله من أجلنا؟ أجل، ينبغي أن نكرّمهم، ونُشيد على اسمهم الهياكل إلى الله، ونأتيهم بتقادمنا، ونُحيي ذكراهم، ونُسرُّ بها سروراً حياً، فتكون الفرحة خاصة بكل من المدعوين، ونخشى -بعكس ذلك- من أن نغضبهم إذا ما تباطأنا في خدمتهم؟ فإنّ إرضاء خدّام الله عبادة له وإغضابهم باعثٌ لغضبه. إذاً أيها المؤمنون، فلنخدمنّ القديسين، ولا سيما في ما يعود إلى خدمة الله، وذلك بالمزامير والتسابيح والأناشيد الروحية وبالخشوع وبالرأفة بالمحتاجين. ولنقم لهم النُصُبَ وعليها الأيقونات ظاهرة للعيان، بل ولنصر نحن نصباً وأيقونات حيّة لذكر فضائلهم. ولنكرّمنّ والدة الإله، على أنها حقاً وحقيقة أُمُّ الله، ويوحنا النبي، على أنه السابق والمعمِّد والرسول والشاهد، الذي قال عنه الربّ: ''لم يقم في مواليد النساء أعظم من يوحنا'' (متى ١١: ١١)، وقد كان هو المنادي الأول بملكوته. ثم الرسل، على أنهم أخوة الربّ ومعاينوه وخدّام آلامه، ''الذين سبق الله فعرفهم وسبق فحدّد أن يكونوا مشابهين لصورة ابنه'' (رومة٨: ٢٩)، ''أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً رعاة ومعلمين'' (١كور١٢: ٢٨). ثم شهداء الرب المنتخبين من كل طبقة، على أنهم جنود المسيح الذين شربوا كأس آلامه واعتمدوا بمعمودية موته المحيي، فأضحوا شركاءه في آلامه ومجده، منهم زعيمهم استفانوس، أول شمامسة المسيح ورسوله وشهيده الأول. ثم آباءنا الأبرار اللابسي الله النسّاك، الذين جاهدوا في الاستشهاد الطويل والتعب الجزيل ''الذين ساحوا في جلود الغنم والمعز وهو معوزون مضايقون مجهودون، فكانوا تائهين في البراري والجبال ومغاور الأرض والكهوف، ولم يكن العالم مستحقاً لهم'' (عبرا١١: ٣٧-٣٨). ثم لنكرّمنّ أنبياء ما قبل النعمة ورؤساء الآباء والصدّيقين الذين سبقوا فبشّروا بمجيء الربّ هؤلاء جميعاً، إذا ما تأملنا في سيرتهم، نتشبّه بإيمانهم ومحبتهم ورجائهم وغيرتهم ومعيشتهم وصبرهم على الآلام وثباتهم حتى الدم، لكي نشاركهم في إكليل مجدهم..

الأسقف يتذكر

(المثلث الرحمات الاسقف استفانوس حداد)

الدير البلمند مركز الدين والعلم اسمه مشتق من بلموّ ، الجبل الجميل ، من ابنية الصليبين في طابقه السفلي مع اضافات العربية التالية لتجديده بعض ان خرب على يد المماليك وقتل وطرد من فيه ٠ وكان ترميمه سنة ١٦٠٣ على يد مطران طرابلس يواكيم وبهمة مشايخ الكورة في فيع وبطرام وده وكفرحزير واميون وكوسبا ، ١٨٣٣ فتحت فيه مدرسة العربية لتعليم حرف العربي الذي كان محرما من قبل الاتراك على العرب وبوجوده في منأ عن الانظار افتتح فيه الطيب الذكر الارشمندريت اثناسيوس قصير رئيسه من بيروت والذي قال فيه عن البطريرك غريغوريوس الرابع : اثناسيوس الذي كان قصير الاسم وطول البال في الدين والعلم والفضيلة ومما لبثت تلك هذه المدرسة التي تعلم فيها اكثر ابناء طرابلس والكورة والشمال الحرف العربي ما لبثت حتى اغلقها الاتراك واليونان.ثم استأنفت في عهد الازدهار بعد البطريرك ملاتيوس الدوماني سنة ١٩٠٠الى ١٩٠٨ وكان اساتذتها من فطاحل العلماء مثل الاستاذ جرجس شاهين عطية وجرجس همام وابنى ظاهر خيرالله وغطاس قندلفت المدير.روى لنا احد تلامذتهم معلمنا الاسقف جرجس سمنة ان الاستاذ كان يقول لتلاميذه عينوا لي الوزن والقافية وما هي الا ساعة وبضع الساعة يخطر فيها ذهاب وايابا حتى يكون قد نظم القصيدة الكاملة ٠ قد نال احد تلامذتها الشماس اندراوس كرشه جائزة نوبل ببيتين من الشعر نظمهما في مديح كولمبوس مكتشف امريكا وهما:

لوكنت اقدر ان اعاقب ابحرا
قاس بها كولمبوس اهوالا
لنزعت منهما درها وجعلته
فوق الثرى بضريحه تمثالا

خرّجت تلك المدرسة في تخريجها الاول وخلال ستة سنوات فئة اكليريكي ما بين الشماس والكاهن والاسقف في الوطن والمهجر. ثم اغلقت في ظروف الحرب العالمية الاولى وما بعدها حتى استأنفت فتحها الطيب الذكر البطريرك الكسندروس الثالث ١٩٣٦ انتدبت لها في تلك السنة مدعوا بدعوة اكليريكية ثابتة وقوية على رغم من حداثة سني فنعمت بعلمها وبجوها وعندنا ومعنا البطريرك الطحان سنتين كاملتين لكل اغراء شخصيته الكبرى علمه وعلومه وخبرته وغيرته ٠ اذا

كان في تلك الظروف متاخذا لاسباب داخلية دير البلمند البطريركي مركزا في بطريركيته ثم اجبر على اغلاقها بسبب الحرب الكونية الثانية وتشتت تلاميذها في سائر الجهات ٠ واما انا مع سيادة مطران طرابلس السابق (الياس قربان) الرفيق بقينا كلينا في البطريركية وفي مدرسة اسية وكنا نتجاوز ظروف تعليمية ومعيشية الصعبة. اما باقون فاكثرهم تركوا الثوب وبقي عدد قليل. وقد قلت لبعض رفاقي مما تركوا وبعثوا بضرورة تركي قلت لهم لقد أتت علي الساعة ونزع أضراسي اهون من نزع جبتي ٠ بقينا لنماشي الزمن وتشهد المدرسة الصغيرة التي كنا فيها معهدا علميا لاهوتيا كبيرا فيه الآن اكثر من سبعين شابا يدرسون اللاهوت وسواه وبالمقابل الدير من الغرب صروح ثانوية كبرى فيها ٢٥٠٠ تلميذ والى جنوب من الدير جامعة علمية جديدة فيها ثلاث كليات والعمل مستمر فيها لتميمها كل هذا يعود الى مركز وكرامة دير سيدة البلمند وقال احد اساتذة في نشيد لهذا الدير:

- من اقاصي الشام للبحر الكبير ومن النيل الى نهر الفرات
- لك يا صرح الهدى شأن خطير لك المجد فوق هام النيرات

كنيسة هذا الدير الرئيسية هي كنسية رقاد السيدة العذراء مبنية على شكل قنطرة من الشرق الى الغرب ثم توجد كنيسة القديس جاورجيوس بعقد متصالب والحجر الذي يختم العقد من الوسط هو حجر واحد بشكل صليب تذكيرا بالصليبيين وكذلك القاعة الكبرى التي ليس في لبنان مثلها في اربعة عقودا متصالبة كل ختم أو قفل هو صليب حجر وباقي العقود والمهاجع الصليبية وله مدخلان من الغرب والجنوب ٠ دير سيدة البلمند موضوع فخر وامجاد لكل المسيحيين بل واهل المشرق جميعا مناخ جميل ومناظر دائمة الخضرة من البحر ومن التلال والجبال المحيطة ومن صفاء والهدوء يساعد على الدرس والبحث والتأمل وهو بين ايدي وزارة الاثار وزائره يعرف ما نقول.

احد تلامذة مدرسته في حقبة ١٩٢٦ - ١٩٤٠

من هم الآباء؟!

صالح الامين

من احتفال بعيد القديس يوحنا السابق شفيع مطران اللاذقية يوحنا منصور

كان إيمان شعب الله في العهد القديم يقوم على إيمان ''الآباء''، وكان الله يُدعى ''إلهُ الآباء'' (خر٣ / ١٥). في العهد القديم كان الاعتراف بقيمة الآباء مهماً وقد امتدح الشعب هذه الشخصيات الأساسية في تاريخ الخلاص واعتبرها مثالاً يحتذى في الإيمان (راجع سي ٤٤ . ٥٠) إلى جانب هذا كانت كلمة أب تُطلَق على المعلّمين، كالأنبياء مثلاً الذين كانوا بمثابةِ آباء لتلاميذهم، فنجد تعبير ''أبناء الأنبياء'' (١مل ٢٠ / ٣٥). نجد ذات الشيء في الأدب الحكمي، حيث توصف العلاقة معلم - تلميذ كعلاقة أب - ابن (مثل ١ / ٨؛ ٣ / ١). أيضاً في العهد الجديد نجد استعمال مماثل لكلمة ''أب'' (لو ١ / ٥٥. ٧٢؛ عب ١ / ١). ومع أن يسوع يفضّل استعمال هذه التسمية فقط بالنسبة للآب السماوي (مت ٢٣ / ٩)، نجد أن بولس الرسول يستعملها للحديث عن علاقة الإيمان، حيث يدعو إبراهيم أبا المؤمنين (رو٤/١٦)، ويرى أن التبشير بالإنجيل يولد علاقة أبوية بين المبشِّر والكنيسة (غل ٤ / ٩؛ ١كو ٤ / ١٤ . ١٥؛ فيل ١٠). لذا علينا ألا نفسّر وصية يسوع بشكل حرفي بل بشكل روحي، إذ أنه في الحقيقة لنا أب واحد هو الله. ومما يؤكد هذا الاتجاه استعمال العهد الجديد ذاته لكلمة آباء للدلالة على الجيل الأول من المسيحيين (٢بط ٣ / ٤). استمر الآباء الرسوليون في استعمال هذه الكلمة للدلالة على بطاركة العهد القديم. لكن استعمال كلمة أب للدلالة على الأسقف نجد منذ العصور الأولى للمسيحية. الشهادة الأولى نجدها بشأن بوليكاربوس أسقف ازمير، فقد دعاهُ الوثنيون ''معلم آسيا وأب المسيحيين''. وفي عام ١٧٧ م

يتوجّه مسيحيّو فيينّا وليون في غالية إلى أسقف روما الِوْثيرُس داعينه ''أباً''. هذه التسمية التي أُطلِقَت على أساقفة الكراسي الرئيسية، تحولت منذ القرن السابع الميلادي إلى تسمية تخص أسقف روما. استخدمت كلمة ''أب'' بالمعنى العقائدي عندما اشتدت حدة الخلافات العقائدية في القرنين الرابع والخامس الميلادي، أصبحت تسمية أب تُطلَق على الأساقفة مستقيمي الإيمان. حدث ذلك خصوصاً في مجمع نيقيا (٣٢٥ م)، حيث دعيَ أساقفة المجمع آباءً، ومن ثمَّ أصبحت هذه التسمية تُميِّز الأساقفة المستقيمي الإيمان عن الهراطقة. يتكلَّم المغبوط أغسطينوس عن المبادئ التي تسمح لنا بأن نميِّز السلطان التعليمي لأحد الآباء،المبدأ الأساسي هو تطابق تعليمه مع الكتاب المقدس بحسب تأويل الكنيسة. الكتاب المقدس. يقول أغسطينوس: ''هو كنزٌ مفتاح قاعدة إيمان الكنيسة. فالآباء يعلّمون الكنيسة ما تعلّموا في الكنيسة''. توضَّحت هذه الأفكار عبر الزمن حتى ظهرت في القرن الخامس أربع ميِّزات لآباء الكنيسة،يُدعى أباً للكنيسة من كان: إيمانهُ مستقيماً؛ سالكاً بقداسة الحياة؛ حائزاً على مصادقة الكنيسة؛منتمياً إلى جيل القدماء. في تقليد الكنيسة الحي والمقدس، المُستمر منذ تأسيس الكنيسة حتى أيامنا هذه، يحتل آباء الكنيسة مكانة خاصة، تجعلهم يتميَّزون عن أي شخصية أخرى في تاريخ الكنيسة. فالآباء هم أول من وضع الخطوط العريضة لبنية الكنيسة، التنظيمية، العقائدية والرعوية، وما قدَّموه يحتفظ بقيمتهِ بشكل دائم.من الآباء حصلنا على قانون الكتاب المقدس، قوانين الإيمان، قوانين الحياة الكنسيّة، الليتورجيا، أوائل الخلاصات اللاهوتية والتعليمية، أضف إلى ذلك التأملات في الحياة الروحية، الزهدية والصوفية. لهذا فإن سلطان تعليمهم في الأمور اللاهوتية يبقى فريداً في تاريخ الكنيسة. إن آباء الكنيسة وبسبب وعيهم لقيمة الوحي الإلهي الشمولية، قد شرعوا بما ندعوه اليوم بالإنثقاف، أي ترجمة الإيمان بلغة العصر. هذا التعبير قبل أن يكون ''برنامج عمل'' هو حقيقة المسيحية ذاتها، التي نشأت بتجسُّد كلمة الله، فكان عليها هي أيضاً أن ''تتجسَّد'' في حضارات الشعوب كي تجعل الله حاضراً فيها، عن طريق بشارة الخلاص. حيث نجح الآباء في اختراق وتعميد العالم الوثني وفلسفتهِ، بالرغم من كل المحاولات التي أرادت أن تحوِّل المسيحية إلى شكل من أشكال الفلسفة اليونانية، والتي ظهرت عن طريق هرطقات، لم ينجح أصحابها في تبنّي أشكال فكرية جديدة مطابقة للوحي المسيحي بكل ما فيهِ من تجديد.لقد برع الآباء في تمييز ماهو صالح وخادم لرسالة الإنجيل في العالم الوثني فاعتمدوه واستخدموه عمّا هو طالح ومتناقض مع الوحي، فشجبوه. بهذا كان الآباء ومازالوا مثالاً ومنارة للكنيسة، في اللقاء المثمر بين الوحي الإلهي والحضارة، بين

أطفالنا ومشاركتهم في الليتورجية

الآب مينا

الليتورجية سَبْق تذوُّق ملكوت الله: هذه هي المرحلة الثانية (المرحلة الاولى المعمودية)، التي تتزامن مع دخولنا إلى الكنيسة، حيث نحيا في الليتورجية (القداس الالهي) كسَبْق تذوُّق ملكوت الله. فمنذ دخول الطفل الكنيسة وهو صغير، يشعر أنه داخل فجأةً إلى مكانٍ خاص حيث كل شيء له طابع الجمال العميق والمقدس، وحيث كل شيء ينقله بعيداً عن عالمه اليومي. فيُلاحِظ عن كثب أن السماء والأرض هنا تتعانقان. وهو يُلاحِظ بنفسه أن الدخول إلى الكنيسة يكون بإشارات طقسية ما يجعله يستوحي منها أهميتها: علامة الصليب، شمعة، تكريم الأيقونات. إن كل حواسه تنشغل بها: رائحة البخور، الألحان. وعلى الجدران مشاهد القديسين المؤثر والهادئ، حيث يَسْبَح في بهاء نور جديد. القبة ترمز إلى السماء مع ملائكتها، وغالباً ما يكون المسيح في الوسط في أيقونة ''الضابط الكل''. والطفل يفهم هكذا أن الحدود المكانية والزمنية قد أُلغيَت. فالمشهد الذي نراه في الهيكل أن المسيح يُعطي الإفخارستيا للرسل، نجده يتحقَّق أمامنا عملياً في شركة المؤمنين في الإفخارستيا. ونحن في شركتنا في الإفخارستيا أيضاً نتحد كلنا مع القديسين، حيث تُكتب في ''الذبتيخا'' أي لوحة بأسماء المنتقلين والغائبين الأحياء (ويُستعاض عنها بالورقات التي يُسلِّمها المؤمنون للكاهن بطلباتهم وسؤالاتهم). والطفل يجتمع بهؤلاء في الجماعة الكنسية (وهذه الأسماء تُصاحب التقدمات ''البروسفورا'') وكلها تُقرأ أثناء صلوات الاستعداد وفي مواضع أخرى من خدمة القداس.

الاشتراك في الإفخارستيا: وهذه هي المرحلة الثالثة من المراحل التي يجب توافرها للطفل ليتفاعل مع ليتورجيا القداس. فإن الغاية القصوى وقمة الليتورجيا هي اشتراك المُعمَّدين، أيّاً كان عمرهم، في سرّ الإفخارستيا، حتى لو كانوا في أيام طفولتهم الأولى، فاشتراكهم في الليتورجيا يتمركز أساساً حول التناول من الإفخارستيا. هذه الشركة ليست بأي حال شركة من درجة أدنى لأنهم أطفال، ولكنها عن طريق اشتراك الجسد والحواس، تبلغ سرّياً إلى أن تضاهي في كمالها شركة البالغين في الإفخارستيا. وهذه الشركة هي أولاً شركة جسدية وحسّية. ففي ''العشاء السرّي'' يحدث أن الطفل يقتبل المسيح في جسده. لقد نسينا الأثر الشديد الذي قدَّمته الشركة في الجسد والدم الأقدسين لنا ونحن أطفال رُضَّع. قليلون جداً مَن يجهلون مذاقة السرّ في

سنواتهم الطفولية الأولى. إنه أثر شديد جداً بسبب الطقوس التي تحيط بهذا العشاء السري: هذا الإنسان (الكاهن) الذي تدل ملامحه على الجدّية والجمال الروحاني وهو في ثيابه الكهنوتية المنيرة، مُمسكاً كأساً مقدسا ويُناول المؤمنين. هذا اللقاء مع المسيح الذي نحياه - نحن البالغين - سرّياً في الإفخارستيا، يتلقّاه الطفل في وعيه الباطن إلى أن يكبر؛ ولكن إذا نحن علّمناه أن يربط بين الليتورجيا والحياة ويربطهما بتعاليم المسيح، تصير شركته في الليتورجيا بمثابة تحوُّل حياتي إلى المسيح.

أيُّ نصيب يكون للأطفال في الليتورجيا؟!

حتى يكون هذا السلوك ممكناً، يجب على جماعتنا الكنسية أن تترك للأطفال مكاناً ومكانة. إن "الشركة" تعني أن يأخذ الطفل نصيبه في الليتورجيا، وهذا يتضمن أن يرجع للأطفال نصيبهم في الجماعة الكنسية، أي يكون لهم مكان ومكانة كاملتين. فلا يكونون مشاهدين متفرجين أو سلبيين، أو نعتبرهم معكّرين لصفو هذه الخدمة الكنسية الغريبة عليهم فيُقمعهم آباؤهم وأمهاتهم، وكأن الليتورجيا لا تُقام إلاّ للبالغين. هذا يعني أن البالغين يجب أن يقبلوا حضور الأطفال ويتركوا لهم مكاناً، بل ويهتموا بحضورهم خصيصاً. وهذا لا يعني ببساطة أن ذلك واجبٌ أخلاقي، لكنه ضرورة لاهوتية تحكم حضورنا في الكنيسة. وفي الواقع إن هذا النموذج الذي نحاول أن نخضع له هو على صورة العلاقة بين الأقانيم الثلاثة داخل الثالوث القدوس.

فعلى مثال الثلاثة الأقانيم الإلهية، فنحن أيضاً نسعى بنوعٍ ما أن تكون علاقاتنا محتفظة بتنوُّع كل شخص على حِدة، حيث يصوغ هذا التنوُّع مجموعة متوافقة في وحدانية كاملة. ونحن نتساءل: هل هناك مكان آخر مثل الجماعة الكنسية يمكن أن نشترك فيه بعمق في حَدَث مثل الإفخارستيا، من حيث كوننا أشخاصاً متميّزين، ولكن دون النظر إلى أوضاعنا الاجتماعية أو الكيانية أو الشخصية.

أيُّ نوع من اشتراك الأطفال، إذن؟ هذه الشركة قد تجمع أحياناً نقيضين: الحضور الغائب. فالطفل قد يكون هناك حاضراً في الكنيسة ولكنه منهمكٌ في اللعب أو الرسم أو الثرثرة. لذلك سيكون نوعاً من التسرُّع أن ندين مثل هذه التصرفات. يُلاحظ أنه عندما نريد شرح شيء ما مهم للأطفال، فغالباً ما يتخذون ردَّ فعل مُحيِّر: فهم يعطون الانطباع بأنهم يهتمون بأي شيء آخر، ولكنهم يكونون في الواقع مستمعين منصتين. ويُشبَّه الطفل بالأرض التي تسقط عليها البذار، ومَن يدري ما الذي يحدث في أعماق قلبهم؟! فلكي نساعدهم في المشاركة الواعية في احتفال الليتورجيا، يجب أن نُقدِّم خبرات من الطقوس المختلفة. فالأطفال مدعوون مثلاً أن يُشاركوا

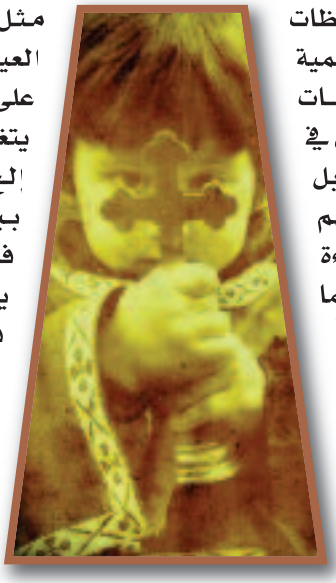

- مثلهم مثل البالغين - في اللحظات الحاسمة في الليتورجيا، ونرى أهمية هذا من خلال بعض الممارسات الطقسية. فالأطفال يشتركون في (الهجمة) ليلة عيد القيامة، بل ويسبقون الكهنة ويحوطون بهم ممسكين بالشموع عند قراءة الإنجيل، وهم أول مَن يتناولون. كما يمكننا أن نساعد الأطفال أيضاً بصورة عملية أكثر، لكي نُدعِّم انتباههم ونعدَّهم لليتورجيا في صورة تحفيظهم لحناً أو ترتيلة صغيرة من ألحان القداس مثل: بشفاعة والدة الاله.. خلصنا يا ابن الله يامن قام .. أو '' يارب ارحم أو ''استجب يارب'' نداء الشماس في الليتورجيا: ''الحكمة لنستقم ونسمع الإنجيل المقدس'' التي تعطي إشارة للإنصات لقراءة الإنجيل، أو للذهاب بحثاً عن قربانة الحَمَل الصغيرة المباركة التي تكون مكافأة لذيذة لهم في نهاية الخدمة الليتورجية. ونستطيع أيضاً أن نعلِّم الأطفال من خلال مشاهدة ما يُسمَّى ''تمثيلية القيامة'' وفتح وغلق الأبواب الملوكية التي تحجب الهيكل ليلة عيد القيامة المجيد، أو الأدوات التي يتغيَّر مكانها في أسبوع الآلام. وهكذا من خلال هذه المناظر والتحرُّكات التي تحدث في الكنيسة، نُعلِّم الأطفال الكثير عن الصلوات الليتورجية، ما يجعلهم يتابعون ويندمجون في الطقس الليتورجي. لكي نتجنَّب الملل الناتج عن تكرار نفس الليتورجيا كل يوم أحد، فمن المهم أن نعرض للأطفال نظام السنة الليتورجية، فنُجهِّز القراءات لهم، ونتحدث معهم عن عيد أو تذكار قديسي اليوم لنجعل الأطفال أكثر انتباهاً للتغييرات التي تحدث: مثل لون الملابس الكهنوتية، أيقونة العيد الموضوعة في وسط الكنيسة أو على جانبي الهيكل، أو التراتيل التي يتغيَّر فيها ذِكر المناسبة الكنسية... إلخ. وهكذا يأتي بُعدٌ آخر يقترن ببُعد الاحتفال الإفخارستي، فيتكون كمٌّ من المعاني التي يكتشفها الطفل وهو ينمو: فيتطابق الزمن اليومي والشهري والسنوي، مع زمن الليتورجيا. أخيراً، إن شركة الطفل في الليتورجيا ستتقدَّم بالتوازي مع تقدُّم نموِّه. فالصوم الإفخارستي الأول الذي صامه الطفل قبل التناول، وأول اعتراف قام به أمام الكاهن، هي مراحل مهمة لنمو الطفل في الجماعة الكنسية، والتي يمكن أن يُصاحبها رغبة في شركة أعمق وأكثر مساندة وأكثر وعياً في الليتورجيا في هذه المناسبات. فنستطيع أن نعرض عليه أن يصل مبكِّراً جداً إلى الكنيسة، وأن نطلب منه الانتباه بصفة خاصة ليُتابع المراحل المُبكِّرة(صلاة السحرية) من الليتورجيا. يجب علينا أن نجعل أطفالنا يشتركون، كأي شخص، في الليتورجيا(القداس الالهي). فهذا يجعلهم يستشعرون بالتدريج مدى غِنَى هذا السر الذي لا ينضب. ولأجل هذا العمل، فالتردُّد على الكنيسة في حدِّ ذاته لا يكفي. فالإشارات والعادات والصلوات يجب أن تكون واضحة ومُصاحِبة للطفل وهو في المنزل من خلال الوالدين والمُعلِّمين. وهكذا يصبح وجود الأطفال أكثر فاعلية ووعياً، لأن الشركة الإفخارستية هي لأجلنا أجمعين، وهي بمثابة لقاء دائم متجدِّد مع المسيح القائم.

من تراثنا الأرثوذكسي - الليتورجيا

عن الموقع "السراج الارثوذكسي"

من بين أولى المميزات لحياة أول المسيحيين أنهم ''كانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة، واذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب''(اعمال ٢: ٤٢- ٤٧). هذا الكلام ولو أنه يظهر ارتباط العبادة المسيحية في البداية مع العبادة اليهودية في الهيكل-وقد يكون في المجامع أيضا.انما يظهر في الوقت ذاته بداية انفصالها عنها أيضاً، اذ كان المسيحيون ''يكسرون الخبز في البيوت''. وكما هو معروف فهذا الانفصال سوف يزداد بالتدريج الى أن يصبح نهائيا. أما الاختلاف بين العبادتين فسيظهر من خلال أربع نقاط رئيسة ارتكزت اليها العبادة والحياة المسيحية منذ البداية، وهي المواظبة على: ''تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات'' (أع ٢:٤٢) . هكذا انطلقت عبادة الكنيسة الاولى(البيزنطية، الرومية) بالروح والحق (يو ٤:٢٣- ٢٤)، وسوف تنمو وتتبلور عبر العصور المختلفة

بمساهمة قديسين من مختلف الأمم التي ضمتها الأمبراطورية الرومية (الرومانية)، مرتكزة على هذه النقاط الأربع بحسب التالي:

١- تعليم الرسل: ما هو مميز في تعليم الرسل الشفهي والمكتوب الإيمان بالآب والابن والروح القدس الإله الواحد، وتجسد ابن الله وظهوره الإلهي وتعليمه وعجائبه وآلامه وموته وقيامته وصعوده وارسال الروح القدس وتأسيسه الكنيسة الخ- هذه كلها سوف تشكل الموضوع الرئيس للعبادة الجديدة وكذلك الهيكلية الأساسية التي سوف تقوم عليها السنة الليتورجية من أعياد ومواسم روحية وما يناسبها من قراءات كتابية ونصوص ليتورجية. أما العهد القديم فستدخل نصوص ومعان كثيرة منه في القراءات والتراتيل انما دائما بحسب تفسير الرسل له أي على ضوء العهد الجديد. على هذا النحو سوف تصبح العبادة المسيحية مركزا حقيقيا لتعليم وعيش الإيمان القويم وكذلك الحياة المؤدية الى الخلاص.

٢- الشركة: من البديهي أن تفرز حياة الشركة في الكنيسة الأولى، عبادة جماعية، حيث يظهر المؤمنون، الذين "كان عندهم كل شيء مشتركاً"، مجتمعين معاً (أع ٢: ٤٤-٤٧)، مصلين (أع ٤: ٢٤- ٣١) ومرنمين (أف ٥: ١٩ وكولو ٣: ١٦) وممجدين بقلب واحد وفم واحد (رو١٥: ٦). هذه الجماعية سوف تستمر كإحدى الصفات الأساسية المميزة لعبادة الكنيسة (البيزنطية، الرومية). وما كلمة الليتورجيا اليونانية (leitourgia) والتي كانت تعني أساساً عمل الشعب، الا اشارة الى مجموع خدم الصلوات والأسرار التي يشترك فيها شعب الله كجماعة رافعاً اياها نحو الله، أو الى سر الشكر (القداس الالهي أو كسر الخبز) تحديداً، والذي يظهر فيه بامتياز ليس فقط اشتراك جماعة الأحياء على الأرض، بل وجماعة السماء أيضاً. اذ هناك الدور الأساسي لابن الله المتجسد بوصفه الكاهن الوحيد (عب٥: ٥-٦، ١٠، ٦: ٢٠، ٧: ٢٦-٢٨، ٨: ١-٢) والحمل المذبوح (يو ١: ٢٩، ١بط ١: ١٩-٢٠، رؤ ٥: ٦-١٣ الخ..). أي المقرِّب والمقرَّب، كذلك للثالوث القدوس محاطا بطغمات الملائكة ومعهم أرواح أبرار مكملين (أنظر عب ١٢: ٢٢-٢٤).

٣- كسر الخبز: منذ تأسيس الكنيسة كان سر الشكر محور أسرارها وحياتها وعبادتها، لأنه بالنتيجة هو الذي يحيي المؤمنين (يو ٦: ٤٨-٥١، ٥٣-٥٨) ويوحدهم مع المسيح وفيما بينهم (١ كور ١٠: ١٦-١٧)، أي هو الذي يجعل الكنيسة كنيسة. ولا يزال الى اليوم يواظب عليه بانتظام اذ يتوج صلوات الأسبوع على الأقل كل نهار أحد وفي كل عيد. في البداية كان هذا السر يتم بعد تراتيل وتسابيح وقراءات كتابية وتعليم وصلوات من أجل تحويل القرابين. وطبيعي أن تنتقل بالتسليم الصلوات التي كان يقدمها الرسل مترئسو الخدمة أو بعض الأساقفة خلفائهم فتصبح مكتوبة، وأن تتبلور مع الزمن هذه الخدمة فتأخذ شكلا موحدا في كل كنيسة، وأن يحصل تقارب بين القداديس القديمة للكنائس وأن يكون الاختلاف بينها في الشكل لا في المضمون. بالنسبة للكنيسة البيزنطية، الرومية فهي تقيم بحسب مناسبات مختلفة

في السنة ثلاثة أنواع من القداديس الالهية، ينتسب كل منها الى قديس كان له تأثير مميز فيه، وهم باسيليوس الكبير، يوحنا الذهبي الفم، غريغوريوس الكبير.

٤-الصلوات: وكما كان للصلوات دور أساسي في حياة الرب يسوع على الأرض (مت ١٤:٢٣، مر ٦:٤٦، لو ٦:١٢، ٩:٧) وحياة الرسل (لو ١١:١-٤، أع ٤:٢٤-٣١، ١٠:٩، ١٦:٢٥) والكنيسة الأولى عامة (اع ١٢:٥، ٢ كور ١:١١، اف ٦:١٨، ١تس ٥:١٧)، استمر هذا الدور ونما ولا سيما بعد أن تعاظم تأثير الحياة الرهبانية على الكنيسة فترتبت مع الزمن صلوات وتراتيل تتفق مع مختلف أوقات النهار والليل مثل السحر والساعات والغروب ونصف الليل- وكذلك مع مختلف أيام الأسبوع، وأيضاً مع أيام الشهور بما يتناسب مع الأعياد الثابتة للسيد والقديسين، وكذلك مع الأعياد المتغيرة المواعيد كالقيامة والصعود والعنصرة، والمواسم التي تسبقها مثل الصوم الكبير وأسبوع الآلام. هذا الترتيب بما يضم من تنوع لا مثيل له يجعل كل يوم من أيام السنة الليتورجية يحمل شيئاً جديداً موحياً يختلف عن اليوم الآخر وخاصة في المواسم الخلاصية الالهية حيث يشترك الشعب الحسن العبادة ليس فقط من خلال الصلوات بل ومن خلال الصيام وانكار الذات والجهاد الروحي وعيش الفضائل. ومما يساعد على ذلك أن الاشتراك في الصلوات لا يتم فقط من خلال الكلمات والفهم العقلي بل من خلال كيان الانسان ككل من قلب ومشاعر وحواس وجسد. فهو مثلا يضمه بناء ويرى أيقونات وملابس وأدوات كنسية تذكر بالبهاء الإلهي، ويسمع تراتيل ذات أوزان شعرية منوعة وأنغام موسيقية ترفع الى علو سماوي، ويشم بخوراً فتستقيم صلاته كالبخور أمام الله، ويشترك جسدياً من خلال صيام وسجدات وسهرانيات وزياحات ذات معان خلاصية. والهدف بالنتيجة هو الوصول عبر الإيمان والنعمة الإلهية الى التنقية والخلاص والتجديد والتقديس.وبكل تأكيد، فهناك غنى لا يقدر بثمن في التراث الليتورجي الرومي من حيث الشعر والموسيقى وروعة المعاني والتناسق والانسجام في القراءات بما يتلاءم مع كل مناسبة. ولكن الأهم من هذا بكثير هو الغنى الروحي الذي حمله هذا التراث من خبرة القديسين في الروح القدس الذين كتبوا ولحنوا ورتبوا. لهذا الغنى الذي لا ينضب دور كبير في حفظ ايمان الشعب الذي حافظ على اشتراكه في الليتورجيا، وحتى أيام الأزمات والاضطهادات والقحط الروحي.من بين الشعراء الكنسيين الكثر الذين ساهموا في اغناء التراث الليتورجي البيزنطي الرومي: مليتون سرديقية (حوالي ال ١٧٥)، كليمندس الاسكندري (١٥٠-٢١٥)، ميثوديوس الأولمبي (حوالي ال ٣٠٠)، غريغوريوس النزينزي (٣٢٨-٣٩٠)، رومانوس المرتل (النصف الأول للقرن السادس)، اندراوس الكريتي (٦٦٠-٧٤٠)، قزما المرتل (٦٨٥-٧٥٠)، يوحنا الدمشقي (٦٨٠-٧٥٥)، يوسف الستوديتي (٧٦٢-٨٣٢)، يوسف المرتل (٨١٦-٨٨٦)، كاسياني (النصف الأول من القرن التاسع).

في إكرام "قديسي الله"

الأب جورج فلورفسكي

لقد غلب المسيح العالم. إن هذه الغلبة قد كُشِفت وتُمِمَت أكثر في حقيقة تأسيس المسيح لكنيسته. لقد حصلت وحدة الجنس البشري بحق لأول مرة في المسيح وبالمسيح، لأن الذين آمنوا بإسمه صاروا جسد المسيح. وبالإتحاد بالمسيح أيضاً يتحدون مع بعضهم البعض في إتفاق أكثر صدقاً في المحبة. ففي هذه الوحدة العظيمة تُزال جميع الإمتيازات والحواجز المصطنعة: إن فوارق الولادة بالجسد تُطمس بوحدة الولادة الروحية.إن الكنيسة هي الشعب الجديد المتلئ من النعمة، التي لا تتطابق مع أية حدود طبيعية أو أية أمة أرضية. لا اليونانيون ولا اليهود، وإنها الجهاد في الإيمان بواسطة "سر المعمودية"، بالإتحاد مع المسيح في "جرن المعمودية الحاوي الأسرار"، "صائرين أبناء بالنعمة"، أي "أبناء الله" الذين من أجلهم خُلِقَتْ جميع الأشياء مما في السماء ومما على الأرض. ففي المعمودية المقدسة، يترك الذي سيستنير "هذا العالم" وينبذ أباطيله كأنه ومتعدياً النظام الطبيعي للأشياء، فمن طاعة قانون "الجسد والدم" يدخل المرء طاعة قانون النعمة. فإن جميع الروابط الوراثية وكل روابط الدم تُقطَع. لكن الإنسان لا يُترك منعزلاً أو وحيداً. لأنه حسب تعبير الرسول "جميعنا إعتمدنا بالروح الواحد". من خلال المعمودية يُصبح المؤمن عضوا في الكنيسة فيدخل "الكنسية الواحدة من الملائكة والبشر" ويُصبح "مواطناً للقديسين و إلى الأبد مع الله"، حسب أقوال القديس بولس. إن الكنيسة هي مملكة ليست من هذا العالم ولكنها مملكة أزلية, لأن لها مِلكٌ أزلي هو المسيح. إن الكنيسة هي تشكل لصورة الأبدية السرية والتذوق المُسبق للقيامة العامة. لأن المسيح الذي هو رأس الجسد هو "الحياة والقيامة" لخدامه واخوته. إن الموت الأرضي أي إنفصال النفس عن الجسد, لا يقطع الرابط بين المؤمنين ولا يفرّق ولا يَفصُل بين الأعضاء المشتركين في المسيح ولا يُقصي الميت من حدود وبنية الكنيسة.في الصلاة من أجل الراقدين وفي قانون الدفن, نحن نصلي للمسيح "ملكنا وإلهنا الذي لا يموت" أن يُرسل نفوس الراقدين إلى مساكن القديسين, "إلى مساكن الصديقين" "إلى أحضان إبراهيم" حيث يستريح جميع الأبرار. وبدلالة بالغة خاصة في صلوات الإنفصال هذه, نتذكر ونستدعي رهط الأبرار ووالدة الإله وقوات السماوات والشهداء القديسين وجميع القديسين كما نستدعي مواطنينا الذين هم في السماء في الكنيسة. وبتشديد يُكشف وعي الكنيسة الدائم والجامع في قانون الدفن. إنه من غير الممكن أن يُفصل المؤمنون الذين بلغوا إلى وحدة حقيقية مع المسيح نفسه في جهادهم وفي "الأسرار" المُخلِصَة, عن المسيح بالموت. "طوبى للراقدين في الرب- نفوسهم في الخيرات تحل". فالصلوات من أجل الراقدين هي شاهد ومعيار لوعي الكنيسة الجامع. إن الكنيسة تراقُب بوقار أي من علامات النعمة التي تشهد وتُثبت الجهاد الأرضي للمنتقل. فهي تُدرك بواسطة رؤية داخلية كلا المنتقلين والأحياء الأبرار. ويُصدِّق شعور الكنيسة بشهادة كهنوت الكنيسة. وبهذه المعرفة لإخوانها وأعضائها الذين "بلغوا إلى الكمال" يكمن جوهر الصوفية، لذلك الذي يُدعى في الغرب المسيحي "رسم القديسين" والذي يُفهمُ من الشرق الأرثوذكسي بمثابة تمجيد وتعظيم وتطويب لهم. وإنها قبل كل شيء هي تمجيد لله "عجيب هو الله في قديسيه". لقد قال القديس يوحنا الدمشقي أن "قديسي الله" ملكوا على وضبطوا أهواءهم وحفظوا المثال لصورة الله سالماً حسب الصورة التي خُلقوا عليها، إنهم بإرادتهم الحرة أتْحَدوا ذواتهم بالله وقبلوه في مسكن قلبهم وبما أنهم قبلوه في الشركة، بالنعمة، أصبحوا بذات طبيعتهم مشاركين له. "فيَهم يرتاح الله". فأصبحوا "كنوزاً ومساكن طاهرة لله". وفي هذا قد تَمَ السر. لأنه كما قال الآباء القدماء- لقد صار إبن الله إنساناً حتى يؤله البشر، حتى يصير أبناء البشر أبناء الله. وقد تَمَ هذا الملئ من النمو و "التشبه" للمسيح في الأبرار الذين بلغوا إلى الحب. "لقد إمتلأ القديسون في حياتهم الزمنية من الروح القدس"، يتابع القديس يوحنا الدمشقي، "وعندما ماتوا كانت نعمة الروح القدس ما تزال حاضرة مع أرواحهم وفي أجسادهم في القبور وفي صورهم وفي أيقوناتهم المقدسة، ليس بسبب طبيعتهم وإنما بسبب النعمة وعملها... إن القديسين هم أحياء وبجرأة يمثلون أمام الله، انهم ليسوا أموات... إن موت القديسين هو شبيه برقاد النوم أكثر منه بالموت"، لأنهم "يُقيمون في يد الله" أي في الحياة والنور...

وبعد أن حُسِبَ بين الأموات ذلك الذي هو الحياة نفسها والذي هو ينبوع الحياة، لم نعد نعتبر الذين رقدوا على رجاء القيامة والإيمان فيه كأموات. ''وإن الروح القدس يُعلِّم كل مؤمن أن يصلي إلى القديسين المجيدين ليس فقط من اجل الحصول على المعونة والشفاعة ولكن أيضاً لان استدعائهم هذا بواسطة الشركة في الصلاة يُعمِّق الوعي للوحدة الجامعة التي للكنيسة. ففي تضرعنا إلى القديسين، يظهر معيارنا للحب المسيحي كما يتجسد شعور حي بالوفاق التام وبقوة وحدة الكنيسة، وعكس ذلك، إن الشك وعدم المقدرة على الشعور بشفاعة النعمة وتدخل القديسين لأجلنا أمام الله، يشهد ليس فقط لضعف في المحبة وفي الروابط والعلاقات الأخوية والكنسية بل أيضاً لنقص في وفور الإيمان في القيمة المسكونية وقوة التجسد والقيامة. إن التأمل في ''ستر والدة الإله الحامي'' هو أحد تطلعات الكنيسة الأرثوذكسية الأكثر غموضاً. إنها تتشفع على الدوام من اجل العالم محاطة بجميع القديسين أمام عرش الله. ''اليوم تحضر العذراء في الكنيسة ومع محافل القديسين بحال غير منظورة، تتشفع من أجلنا جميعاً، الملائكة ورؤساء الكهنة يقدمون العبادة، الرسل والأنبياء يُعانقون بعضهم بعضاً- إن والدة الإله تتضرع إلى الإله الأزلي من أجلنا''. هكذا إن الكنيسة تذكر الرؤيا التي شاهدها مرة القديس إندراوس المتباله من اجل المسيح. وتلك التي أُظهرت حينئذ بصورة واضحة تبقى الآن وستدوم إلى جميع الدهور. إن ''التأمل في الستر الحامي'' هو رؤية للكنيسة السماوية، إنها رؤية لوحدة الكنيسة السماوية والكنيسة الأرضية الغير المتجزئة والكائنة إلى الأبد. إنها أيضاً رؤيا مسبقة مشفوعة بالحرارة، ذلك أن حياة الأبرار والقديسين بعد الموت هي حياة صلاة غير مُتعبة وحياة من الشفاعة والتأمل غير منقطعة. لان الحب هو ''وحدة الكمال بكليته''. وان غبطة البار هي في السكون في الحب. إن القديس الشرقي العظيم إسحاق السرياني، يشهد بجرأة لا مثيل لها للقوة المُحِبة التي تشمل الكل والتي تُتَوِجُ جهادات المسيحي. بحسب أقواله أن هذا الصراع من اجل الله يكتسب الملىء والكمال ويبلغ هدفه في الطهارة- والطهارة هي ''القلب الذي يرحم كل مخلوق حي''. وما هو القلب الرحوم؟ يسأل القديس ويُجيب إنه: ''القلب المحترق من اجل جميع الخليقة، البشر والطيور والوحوش والشياطين وكل الخلائق. فإن عيني إنسان يملك هكذا قلب تسكب دموعاً من تذكرهم والتأمل فيهم: لان حنواً عظيماً يملك قلبه وبسبب إخلاصه الكبير، فانه يُغمرُ بشفقة رقيقة ولا يستطيع تحمُل أو سمع أو رؤية أي أذى أو أي حزن مما تعانيه الخلائق مهما صَغُرَ. ولهذا يصلي باستمرار بدموع من اجل الحيوانات غير الناطقة ومن اجل أعداء الحق ومن اجل الذين يسيئون إليه حتى يُحفظوا ويُرحموا، وأيضاً من اجل الدبابات، من هذا الحنو العظيم الذي ينبعث في قلبه على مثال الله''. ومهما تكون صلاة القديسين على الأرض نارية، فإنها تُحرق بالأكثر كلهيب نار ''هناك'' في ''معانقة الآب'' على صدر الحب الإلهي، على مقربة من الله، الذي اسمه حب والذي عنايته بالعالم هي حب.إن العبادة الإفخارستية (القداس الإلهي) هي قلب العبادة الكنسية. هنا أيضاً تتحد الكنيسة بكليتها. هنا تُعدُ الذبيحة الإلهية وتُقدم الصلوات ''على كل شيء ومن جهة كل شيء''، هنا تُذكر الكنيسة بجملتها، المجاهدة والظافرة. ففي سر عمل الليتورجيا ''قوات السماوات يحتفلون معنا بحال غير منظور''، إنهم حاضرون ويحتفلون مع الكاهن المحتفِل أي الذي يقيم القداس الإلهي. وقد مُنِحَ القديسون العظام أحياناً بنعمة الله، أن يتأملوا بحال منظور اشتراك الملائكة في القداس الإلهي، الذي يُخفى عن أبصار الخطأة. هكذا، إنه من المعروف أن القديس سارافيم ساروف قد أُعطِيَ في إحدى المناسبات أن يعاين دخول رب المجد الظافر محفوفاً من مراتب الملائكة. إن هكذا دخول لرب المجد غالباً ما يُمَثل في شكل أيقونة على جدران المذبح المقدس وليس فقط كرمز، لكن أيضاً كإشارة إلى أن جميع هذا يحدث واقعياً بحال غير منظور. وان كل تزيين الكنيسة بالأيقونات يتكلم عامة عن الوحدة السرية والحضور الحقيقي للقديسين معنا. ''نحن نُصور المسيح، الملك والرب، من غير فصله عن جنده لان جنود الرب هم القديسون'' كما قال القديس يوحنا الدمشقي. إن الأيقونات المقدسة ليست فقط صور للتذكار، ''صور من الماضي وللتقوى''، وليست فقط رسوم بل هي بالحقيقة أشياء مقدسة، وكما يشرح الآباء أن الرب ''يحضر'' فيها ويكون ''في شركة معها'' بالنعمة. إنه يوجد بعض الصلة الفعلية السرية بين ''الصورة'' و''الأصل''، بين المثال والذي تمثله، الذي يُلاحظ خاصة في الأيقونات الصانعة العجائب التي تُظهر قوة الله. إن ''السجود الإكرامي'' للأيقونات المقدسة يُعبِّر بوضوح عن مفهوم الكنيسة للماضي: إنها ليست فقط ذكرى موجهة الى شيء مضى ولكنها رؤية بالنعمة لأولئك الذين رقدوا وانفصلوا عنا، ''رؤية بهجة لوحدة الخليقة كافة''. (بتصرف)

"نشيد يا طالع على حمطورة"

يا طالع ع حمطورة والمشوار طويل

جاي للعدرا تزورا تضوي القنديل

حامل بالقلب ندورا للإيمان دليل

ع هالدرب المهجورة تهديك السبيل

يا طالع ع حمطورة والمشوار طويل

ع هالدرب الماشيها قبلك مشيو قديسين

صلي وتخشع فيها بتشعر إننون موجودين

ندورك حتى توفيها خلي تيابك محتشمين

الكلمة البدك تحكيها إلها حساب بيوم الدين

انشاالله العدرا بنورا تهديك السبيل

يا قاصد دير العدرا تتصليلا بإيمان

شوي شوي بالطالعا حتى ما توصل تعبان

ولا تعتل هم الوقعى بعمرو ما تجرب إنسان

لا تنسى تضوي شمعا وتطلب من الله الغفران

وبالرجعا العدرا بنورا تهديك السبيل

مشاهدات من حياة الرهبان في دير رقاد السيدة - حمطورة (الجبل المقدس)

www.hamatoura.com • hamatoura@msn.com